الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

MAS-811-03/مر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العـــربي

شعبة الآداب والحضارة

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم Fad/17
بتاريخ .....
الرقم 01697

تخصص الحضارة العربية الاسلامية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الآداب والحضارة الموسومة

بعنوان

# تطوّر الدّواوين عبر العصور الإسلامية

## " عصر الخلفاء الراشدين – العصر الأموي – العصر العباسي "

من إعداد الطالبة :
عتيق زينب

تحت إشراف الأستاذ :
أ- د- : فارسي حسين

السنة الجامعية: 1431 – 1432 هـ / 2010 - 2011 م

# الإهـــداء

إلى من تمنيت أن يكون إلى جانبي في هذه اللحظات.....

إلى روح أبي الطاهرة

إلى من أمدتني بالقوة والعون وساندتني في أوقات الشدة والفرح ....

إلى من أوصلتني دعواتها إلى بر الأمان ... إلى نبع الإيمان...

أمـــي الغالية

إلى أخي الوحيد: بن عمرو

إلى مثلي الأعلى: أختي زكية وزوجها حسين.

إلى من تنتظر رجوعي بشغف: أختي غنية.

إلى الأستاذ المشرف: فارسي حسين.

إلى صديقات العمر: فوزية، فاطمة، وفاء، أمال، ليلى، سامية، جميلة، حيزية، أمينة، كريمة، رشيدة.

إلى زملائي في الدراسة: سيد أحمد، عبد الكريم، عبد الله، إلياس .

إلى كل دفعة السنة الثانية ماستر- لغة وأدب عربي 2010-2011
إلى كل من يغار على اللسان العربي وينطق به.

*أتمنى أن تكون ثمرة جهدي راقت رضى المولى عز وجل*

زينب عتيق

# كلمة شكر

أبعث بالشكر الجزيل ...

على نسمات الهواء العليل .

إلى الأستاذ المشرف " فارسي حسين "

الذي أكرمني بإشرافه على هذه المذكرة،

والذي لم يبخل عليّ بنصائحه السّديدة،

والذي لم يتأخر من تقديم كل الدعم والسند لي،

والذي جاد عليّ بإرشاداته وتوجيهاته القيّمة.

فكان متواضعا معي في تعامله،

دقيقا في ملاحظاته،

منضبطا في مواعده.

والى كل أساتذة كلية الآداب واللغات والى كل من ساهم في هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة.

شكرا .

# مقدمة

الحمد لله الذي خلقنا فكان ذلك آية من آياته الباهرة، ودليلا قاطعا على عظمته القاهرة، ورزقنا فكان ذلك حجة ساطعة على كرمه وحلمه وعطفه ونعمته، ثم يميتنا بعد ذلك فيكون في ذلك البرهان اليقين على انه قاهر الجبابرة ومدمر الأكاسرة والأقاصرة وألف صلاة وسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين والمرسلين، الفاتح لما أغلق والخاتم لما أسبق ، ناصر الحق بالحق والهادي إلى الصراط المستقيم، الناطق بلسان عربي مبين، والمفضل عن غيره من الألسنة بنزول الدين الحنيف أما بعد:

إنّ الاهتمام بتاريخ أي أمة من الأمم ودراسة حضارتها ومساهمتها في الحضارة العالمية أمر يرفضه الوعي الوطني والقومي على أفراد الأمة، ومن هنا أخذت الدول في العالم تولي تاريخ الحضارة الخاص بها أهمية كبيرة حتى يستطيع النشء التعرف على حضارته وإعادة قراءة الماضي وكتابته وفق نظرة جديدة يتطلبها واقع الأمة والرؤية المستقبلية لها. وقد ساهمت مجموعة من العوامل في إدراك العالم لأهمية التاريخ قراءة وكتابة وتفسيرا. وهو اهتمام تولد من إحساس عام بضرورة إدراك جذور الظواهر العامة في حياة الأمة إدراكا سليما.

وقد اخترت هذا البحث والذي هو تحت عنوان: " نشأة الدواوين وتطورها عبر العصور الإسلامية – عصر الخلفاء الراشدين، العصر الأموي، العصر العباسي" وهو من النظام الإداري لأنه لو تتبعنا ظاهرة الإمارة والإدارة منذ نشأة الإسلام لوجدنا المسلمين وقد حفلوا بها نلمس حرص الرسول القائد على ألا يكون المسلمون أفرادا متفرقين بل جماعة تحت قيادة من شواهد ذلك ما حدث في بيعة العقبة الأخيرة، فإنه لم يترك

وفد أهل المدينة على ما كان عليه بنزعتهم الفردية وانتمائهم القبلي بل اختيار منهم اثني عشر نقيبا، فالإسلام حافظ على مصالح الناس عامة وحكاما في مقابل الاستسلام لله ورسوله وطاعتهما تتمثل عند الإسلام في أركان الإسلام ، فأمراء العرب وشيوخ القبائل اسند إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم إدارة شؤون قبائلهم، وكأنه نوع من الحكم الذاتي يجمع بين استقلال الأقاليم في الإدارة والتبعية في كل ما أمر الله به من شعائر ومعاملات وأخلاق، وكان الرسول يبعث عماله إلى الأقاليم ليعلموا الناس أمور دينهم ويأخذوا الصدقات من الأغنياء و يردوها على الفقراء.

والديوان: هو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال في الديوان أو السجلات التي تحفظ فيها البيانات الخاصة بالدولة وبهذا المعنى فان الصلة قوية بين الديوان وإدارة البلاد.

ولقد قسمت بحثي إلى تمهيد وفصلين وخاتمة. تناولت في التمهيد تعريف الحضارة عامة والحضارة العربية الإسلامية وتعرضت إلى النظام الإداري وتطوره في الحكومة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي والعصر العباسي، أما الفصل الأول فقد قسمته بدوره إلى ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تضمن تعريف الديوان والمبحث الثاني تعرضت فيه إلى الديوان الأول في الإسلام، والمبحث الثالث ذكرت ظهور حركة تعريب الدواوين وكذا أسبابه ونتائجه، وجعلت الفصل الثاني نشأة الدواوين وتطورها عبر العصور الإسلامية فقسمته إلى ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تطرقت إلى نشأة الدواوين في زمن الخلفاء الراشدين واخترت ديوان الجند، ديوان الخراج وديوان الجيش، والمبحث الثاني تناولت تطور

الدواوين في العصر الأموي واخترت ديوان الرسائل وديوان الخاتم، أما المبحث الثالث فتعرضت إلى تطور الدواوين في العصر العباسي وأخذت ديوان الأزمة (الزمام) وديوان البريد، أما الخاتمة فذكرت فيها أهم الملاحظات والنتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها والتي كان جلها يصب في نطاق الحضارة العربية الإسلامية.

و أما عن المنهج المتبع في بحثي فكان المنهج التاريخي سواء في المدخل وقد اعتمدت عليه كذلك في بقية الفصول.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنسى أو أتناسى دور الأستاذ المشرف "فارسي حسين " الذي قدم لي يد العون، ولم يدخر النصائح والإرشادات التي حاولت الاحتذاء بها في بحثي هذا وإثراءه بها قدر المستطاع، فقوم ما اعوج من أسلوبي وذلل الكثير من العراقيل والصعوبات التي واجهتني أثناء عملي.

فأرجو أن يكون بحثي بالوجه الذي يرتضيه أستاذي وقد حاولت قدر المستطاع أن أخرجه سالما من الأخطاء، فان أصبت فمن نعمة الله وفضله علي، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبت أنني بذلت فيه قصارى جهدي واتبعت فيه ملاحظات الأستاذ المشرف .

فاللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا والسلامة في الدنيا والفوز في الآخرة .

تلمسان يوم: 17 رجب 1432هـ/19 جوان 2011م.

عتيق زينب

# نبذة تاريخيّة حول النّظام الإداري في الدّولة الإسلاميّة

الحضارة تجسيد للنشاط العقلي عند الإنسان، وتاريخ الحضارة سجل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والحربية والعمرانية. ودراسة هذا التاريخ تتناول إلى جانب ذلك وسائل إنتاج الإنسان ومستوى معيشته وفنونه الجميلة، ومعتقداته الدينية وأساطيره وعلومه وآدابه ووسائل كفاحه المستمر مع الطبيعة من أجل البقاء.

والحضارة كما عرّفها « علماء الاجتماع » كالكائن الحيّ، فعل نام متحرّك، تولد طفلا طريّ العود، حتّى إذا اشتدّ ساقاه وصلب عوده بدأ عهده بالازدهار وشبابه بالعطاء، ويكون في هذا الطور في إبان خصبه ونضوجه. والحضارة هي كذلك، فإذا استنفذت طاقتها المخزونة بدأت تنحدر نحو الهرم والشيخوخة وبدأ عطاؤها يشحّ رويدا رويدا إلى أن تنقرض. لكنها حسب« أوغست كونت» لا تعود إلى الصفر، ذلك أن لكل حضارة بعض الجذور الثابتة هي إرث حضاري تتركه وراءها تستفيد منه كل أمة لاحقة، يمكن أن تتفاعل حضارتها معه وتجعله حجر أساس في بنيانها الحضاري الجديد. هذا الإرث مشاع عام كالهواء وكالشمس لا يمتنع أحد من أن ينهل من معينه. من هنا نرى أن الحضارة لا يمكن أن تكون منغلقة على ذاتها تأخذ و لا تعطي، إنما هي منفتحة على كل الحضارات وفي كل اتجاه.[1]

[1] نبيلة حسن محمد، في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، د.ط، 2007، ص82.

و في كل حضارة بذرة بقاء هي الإرث الحضاري الذي تتركه وراءها وهذا الإرث مشاع كالهواء، يمكن لكل أمّة أن تفيد منه، كما يمكن لكلّ حضارة نامية أن تتفاعل معه وتجعله لبنة من بنيانها.

والحضارة من مفهومها الإسلامي تنطلق من رؤية مثالية للحياة، إذ يسعى كل مسلم، وكل مجتمع إسلامي أن يحقق هذه الرّؤية، ويعمل على إبرازها وتطويرها حتّى تظلّ حيّة ماثلة في ضميره وتصرّفاته ومعاناته، وحتّى يجعل واقعه يسير على هديها. ولذلك فالحضارة هي مثل عليا وتجارب متنوّعة، وإبداع وخلق، وما يصحبها من معاناة لتصويب وتصحيح سيرة الإنسان. كما أنّها تبرز ثقافة المجتمع الإسلاميّ الكامنة في ضمير الفرد وسلوكه تحديا منه للانحرافات المارقة، وهي محصلة واقع تاريخي يتصل بمختلف العلاقات الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والفكرية و الاجتماعية. [1]

و حضارتنا الإسلاميّة تدفع كل مواطن نحو الأمانة والمثاليّة في الابتكار والتقليد في عمله وسلوكه وفي اختياراته ومواقفه، وهذا ما يجعلها على اتصال بماضيها وتراثها لأنها امتداد غير محدود. [2]

إنّ حضارتنا الإسلاميّة تراث مثالي، وواقع تعيشه الأمة الإسلامية بقيم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وهي بهذا النهج والأسلوب توحد بين المسلمين في جميع أنحاء الدنيا، أمما كانوا أم أقليّات أم أفرادا مهاجرين في أوطان غير أوطانهم، لأنها تتّسم بخصوصيات وقيم مشتركة مميزة تبرز

[1] المرجع السابق، ص 83.
[2] المرجع نفسه، ص 84.

في الأعراف والعادات والتقاليد، وهذه الخصائص تبرز الانسجام والتكامل في حضرة الأمّة الإسلامية دون استثناء.

وتكمن أهمية الحضارة في أنها وعاء تراكم المعرفة والتجارب، اللتين بدونهما ما استطاعت الإنسانيّة أن تتقدّم خطوة واحدة. كما أن الحضارة أيضا تكشف عن قوة الأمّة، لأنّ علاقة الحضارة بقوّة الأمّة هي علاقة دلالة شيء على شيء آخر.

وبناء على كل ما تقدّم يمكن تعريف الحضارة بأنّها " مجموعة المظاهر السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة لأمّة من الأمم يتناقلها أبناؤها جيلا بعد جيل".

ولقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بتماسك جماعات المسلمين، وإدارة شؤونهم دينيّا، واجتماعيّا، واقتصاديّا حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا ثلاثة في سفر فليؤمّكم أحدكم و أحقّكم بالإمامة أقرأكم."[1]

فالإسلام حافظ على مصالح الناس عامّة وحكاما في مقابل الاستسلام لله ورسوله وطاعتهما تتمثّل عند الإسلام في أركان الإسلام فأمراء العرب وشيوخ القبائل أسند إليهم الرّسول إدارة شؤون قبائلهم، وكأنه نوع من الحكم الذاتيّ يجمع بين استقلال الأقاليم في الإدارة والتبعيّة في كل ما أمر الله به من شعائر ومعاملات و أخلاق، وكان الرسول الله صلى الله عليه وسلم، يبعث عماله إلى الأقاليم ليعلموا الناس أمور دينهم ويأخذوا الصدقات من الأغنياء ويردوها إلى الفقراء.

[1] حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط2، 1999، ص 106.

وهكذا نشأت الإدارة العامة في العصر النبوي، وفي عصر الخلفاء الراشدين اتسع نطاق الدولة وشمل بلاد العراق وما وراءها، وبلاد الشام ومصر، فقد اختلف أسلوب الإدارة في البلاد المفتوحة، عنه في أقاليم شبه الجزيرة العربية، ذلك أن العرب الفاتحين أقاموا في هذه البلدان وهم يواجهون مخاطر داخلية ممن احتفظوا بولائهم القديم ومخاطر خارجية من الدول والقرى المجاورة لذلك منع عمر بن الخطاب اشتغال العرب بالزراعة وأراد أن يكونوا في رباط دائم [1].

ويجمع المؤرخون على أن عمر بن الخطاب أوّل منظم إداريّ للدّولة العربيّة النّاشئة، وعمر بإجماع مؤرخي العرب والفرنجة يقف وحده في الصفّ الأوّل بين حكام العالم من عرب وعجم فقد تمكّن بها جميعا من تسيير دقة الفتوحات في طول الأرض وعرضها وهو في مكانه بالمدينة وأبقى عمر بن الخطاب(رضي الله عنه ) على الأقسام الإداريّة التي كانت قائمة في عهد الدولة الفارسيّة، وكانت تلك المقاطعات القديمة هي فارس، كرمان، خراسان، مكران، سجستان وأذربيجان. [2]

أمّا الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه ) فلم يحدث تبديل كبير في دواوين القضاء، وأما عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه )، لم يغيّر كثيرا من النّظم الإداريّة التي كانت سائدة في عهد عمر وعثمان، فقد انشغل بالثّورات والفتن الداخلية. [3]

---

[1] المرجع السابق، ص 108.

[2] علي حسن الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994 ، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

هذا وقد تأثر النّظام الإداريّ في الحكومة الإسلاميّة بعد استقرار الفتوحات الإسلاميّة في بلاد العراق وفارس وبلاد الشام ومصر بالكثير من النظم الإداريّة الفارسيّة والبيزنطيّة، فقد وجد العرب أنّ هذه الأمم الّتي بنوا حضارتهم على أنقاضها ذات تاريخ مجيد وعريق في المدينة والنظم الإداريّة والسياسيّة، فلم يكن هناك داعي من قبول هذه النظم وإبقائها على ما كانت عليه من قبل عدا ما يخالف الشّريعة الإسلاميّة، تمّ إحداث ما يتطلبه الإصلاح من التّغيير الذي يتفق مع العقائد الدينيّة ويتمشّى مع مصلحة الشعوب التي خضعت للمسلمين ، وذلك ظلّ مستمرا في عهد الدولة الأموية حيث اتسعت في عصرهم مرافق الدولة، واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتتلاءم مع تطورها، لكن هذه الدواوين ظلت تمر بدور انتقالي، ولم تستقر ، ولم تأخذ صيغتها النهائية إلا في العصر العباسي.[1]

ومن معالم التطور الإداريّ في العصر العباسيّ تقسيم الدّولة إلى ثلاثة أقسام: المشرق والمغرب وبلاد العراق، ويمكن أن نلمس بعض الأسباب التي دعت إلى هذا التقسيم منها صعوبة إدارة البلاد، فقد منح الرشيد إدارة بلاد المشرق لابنه المأمون، وإدارة بلاد المغرب لابنه الأمين، أما العراق فبقيت تحت الخليفة مباشرة .[2]

[1] عبد المنعم محمد الجمل، الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2003، ص 28.
[2] المرجع نفسه، ص 29.

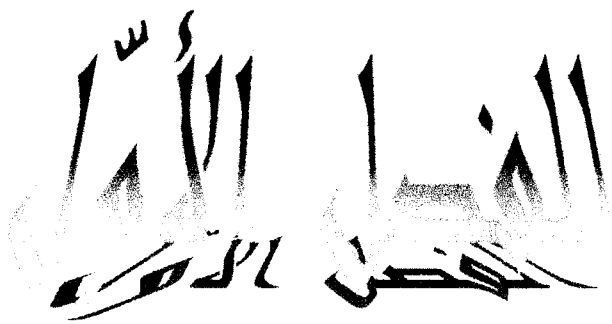

# مفهـــــــوم الدّيـــــــــــوان

## المبحث الأول:تعريف الديوان

"الدّيوان " كلمة فارسيّة معرّبة، معناها: الدّفتر أو السّجل أو مجتمع الصّحف ، وأصله: دوّان هو الدفتر الّذي يُكتب فيه أسماء الجند وأهل العطاء وأطلق اسم الدّيوان على المكان أو الدّائرة الّتي تحفظ فيها الأوراق والسّجلات والدّيوان بالفارسيّة اسم للشياطين، وسمّي الكتاب باسمهم لحذقهم في الأمور ووقوفهم على الجليّ والخفيّ منها، ثم سمّي مكان جلوسهم باسمهم فقيل:ديوان وهناك من يرى أنّ أصل الدّيوان عربيّ من دوّن، وذلك بالنّظر إلى اللّفظ المقترن بديوان الشّعر، فالدّواوين هي الدّوائر الرّسميّة الّتي تكون مهمّتها بالأعمال الإداريّة والإشراف على شؤون المال، وهي تقابل الوزارات في الوقت الحاضر[1].

والدّواوين من الأنظمة التي اقتبسها العرب عن الفرس والرّوم الذي كان أداة لتنظيم أمور الدّولة في كافة المجالات، والدّيوان في تعريف أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي: « الديوان محفوظ بحفظ ما تعلّق بحقوق السّلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمّال.» وفي تسميته ديوانا وجهان: أحدهما أنّ كسرى اطّلع ذات يوم على كتّاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال "ديوانه " أي مجانين، فسمّي موضعهم بهذا الاسم، ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان، والثاني أنّ الدّيوان اسم بالفارسيّة للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي والخفي

[1] محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، منشورات دار علاء الدين، سورية دمشق، ط 1، 2007، ص 69.

وجمعهم لما شذ وتفرق وإطلاعهم على ما بعد وقرّب ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل "ديوان "[1].

وقد ظهرت "الدّواوين " في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، مثلها في ذلك مثل بقية المؤسّسات فيها، نتيجة حاجة العرب إلى التنظيم الإداريّ و العسكريّ والماليّ، وبدأت الدّواوين بداية بسيطة، إلاّ أنّها سرعان ما تطوّرت وتعدّدت حسب مقتضيات الأحوال والتطوّرات التي حلّت بالدّولة الإسلاميّة.

فيما يذهب البعض الآخر إلى أنّها عربيّة أصلية مشتقّة من الفعل "دوّن " بمعنى أثبت أو قيّد أو سجّل أو جمع والرّاجح أنّ كلمة "ديوان " عربية الأصل لورودها في العربيّة من وقت مبكر، أهمّها حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يقول: "الدّواوين عند الله منه شيئا، وديوان لا يغفره الله"[2].

وكذلك قول العرب: الشّعر ديوان العرب والكلمة في الحديث ترد للدلالة على الدّفتر أو الكتاب، وبدأت كلمة ديوان تستخدم على نطاق واسع بعد أن دوّن عمر بن الخطاب ديوان الجند، فعنت في بداية الأمر سجل المقاتلين ، ثم تطوّرت مدلولاتها بعد استحداث دواوين جديدة في الدّولة، لتعني المكان الّذي يعمل فيه القائمون على السّجلات، أي أنّ اللّفظة أطلقت على الدّائرة بكتابها وسجلاّتها وفروعها وأصول العمل فيها[3].

ويطلق "الدّيوان " في أيّامنا هذه فيراد به المباني الحكوميّة الّتي تضمّ المؤسّسات والأجهزة المسؤولة عن إدارة شؤون الدّولة، وهذا من الدّلالات

---

[1] حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط ، 1988، ص 165 .

[2] احمد، المسند،ج6، ص 240 .

[3] محمد عبد القادر خريسات، تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ، 2000، ص 98 .

القديمة لكلمة الدّيوان ويراد بها أيضا العاملون في الدّيوان أو السّجلات التي تحفظ فيها البيانات الخاصة بالدّولة[1].

وبهذا المعنى فإنّ الصّلة قويّة بين الدّيوان وإدارة البلاد وقد اختلف المؤرّخون في نشأة الدّيوان، والقول المشهور أنّ عمر أوّل من أنشأ الدّيوان وهناك من يقول أنّ الدّيوان نشأ منذ العهد النّبوي واستمر إلى عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب ( رضي الله عنهما)، فإن كان المراد تقييد الأمور المتعلّقة بالشّؤون الماليّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة ، فالآثار المرويّة تثبت أن ذلك تحقق منذ العصر النّبويّ، فقد روي أنّ الزّبير بن العوّام وجهم بن الصّلت كانا يكتبان له (عليه السّلام) أموال الصّدقات وأنّ حذيفة بن اليمان كان يكتب له فرص النّخل. وان أبا بكر كان له بيت مال السّنح، والآثار في ذلك كثيرة .

أمّا إذا أريد بالدّيوان المكان وتعيين المعاملين فيه، الذين يطلق عليهم الكتّاب، وكتابة بيانات الدّولة في سجلّات بناء على قواعد معيّنة، فإن ذلك تمّ على يد عمر بن الخطّاب ( رضي الله عنه)[2].

فكان التّطور الطبيعيّ لدولة ناهضة حريصة على حفظ الحقوق أن تلجأ إلى التّدوين ، حتّى يعرف كلّ ذي حقّ حقّه، وقد حدث ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب ( رضي الله عنه) على المشهور، وبذلك أقول إنّ للدّيوان ثلاثة عناصر وهي : المكان، والعاملون المهنيون، والسّجلات تكاملت في عهد عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه)، وأمّا ترتيب الأسماء في الدّيوان فقد بناه الخليفة على قاعدتين أوّلهما: تقديم السّابقين إلى الإسلام، وثانيهما: درجة القرب من

[1] حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، ص 111.
[2] المرجع نفسه، ص 112 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ردّ على من قال له عند التّدوين: " إبدأ بنفسك، قال: لا، بل إبدأ بعمّ الرّسول ثمّ الأقرب فالأقرب"[1].

## المبحث الثاني: الديوان الأول في الإسلام

نشأت الدّواوين في عهد الفاروق عمر ( رضي الله عنه)، وكان ذلك نتيجة لاتّساع الدّولة الإسلاميّة، واتّصال المسلمين الفاتحين عن قرب بالأنظمة الفارسيّة والبيزنطيّة في الأقاليم والتّعرّف على حضارتها، فانتقوا من بين ذلك ما وجدوه ملائما وصالحا للاقتباس، كما أبقوا على كثير من الأنظمة الإداريّة التي ثبت لهم صلاحيتها لتلك البلاد.

وقد اختلف في تحديد تاريخ نشأة الدّيوان، فيحدّده الطّبري بالعام الخامس عشر للهجرة، بينما يذكره الماوردي في العام العشرين.

و تجب الإشارة إلى أنّ النّظم الإداريّة في مصر والشّام كان لها أثر كبير في نشأة الدّواوين، فقد عاد الفاتحون إلى العاصمة الإسلاميّة يحملون معهم أخبار البلاد المفتوحة، ومن أهمّ تلك الأخبار، أخبار النّظم الإداريّة وبصفة خاصة الدّواوين.

يقول الإمام أبو الحسن الماوردي:"إنّ أوّل من وضع الدّيوان في الإسلام هو عمر بن الخطاب، واختلف النّاس في سبب وضعه، فقال قوم: إنّ سببه أنّ أبا هريرة (رضي الله عنه) قدم عليه من البحرين فقال له عمر : ماذا جئت به ؟ فقال: خمسمائة ألف ألف، فاستكثره، فقال له: أتدري ما تقول؟ قال: نعم مائة ألف خمس مرات. فقال عمر: أطيّب هو؟ فقال:لا أدري. فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها النّاس، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن

[1] المرجع السابق، ص 113 .

شئتم عددنا لكم عدّا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين رأيت الأعاجم يدوّنون لهم ديوانا، فدوّن أنت لنا ديوانا"[1].

وقال آخرون في سبب وضع الدّيوان: إنّ عمر بعث بعثا وكان الهرمزان فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلّف منهم رجل، وآجل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به، فأثبت لهم ديوانا، فسأله عن الدّيوان حتّى فسّره له.

وقد روي أيضا أنّ عمر(رضي الله عنه) استشار المسلمين في تدوين الدّواوين فقال عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه): تقسّم كلّ سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا، وقال عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أرى مالا كثيرا يسع الناس فإن لم يحصلوا حتّى يعلم من أخذ ممّن لم يأخذ، خشيت أن ينشر الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشّام فرأيت ملوكها دوّنوا ديوانا وجنّدوا جندا فأخذ بقوله[2].

ودعا عمر (رضي الله عنه) عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من شبّان قريش، وقال اكتبوا النّاس على منازلهم[3].

ولقد بدأ العمل به – تدوين الدّواوين – على عهد عمر بن الخطّاب ثمّ صار يطلق على أماكن شؤون الدّولة على اختلاف أنواعها. وكذلك على القائمين بالعمل فيها، وعلى السّجلات والقوانين التي تضبط أعمالها ...[4]

---

[1] فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 9، 1999، ص 83.
[2] المرجع نفسه، ص 83.
[3] المرجع نفسه، ص 84.
[4] محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993، ص227 .

## المبحث الثالث: تعريب الدّواوين:

يعتبر عبد الملك بن مروان المؤسّس الثاني للدّولة الأمويّة لما امتاز به من رجاحة العقل والقدرة على تصريف الأمور، فانتشل الدّولة من الفوضى بعد وفاة مروان بن الحكم، وأقام صريح مجدها على أسس لم يسبقه إليها من جاء قبله من الخلفاء.

وكان عبد الملك بن مروان لبيبا عاقلا مالكا جبّارا، قويّ الهيبة شديد السّياسة، حسن التّدبير للدّنيا، في أيّامه نقل الدّيوان من الفارسيّة إلى العربيّة واخترعت سياقة المستعربين.

وكان عبد الملك منذ نشأته يميل للإسلام والعروبة، فقد ولد عبد الملك في الإسلام، وتربى عليه، فضلا عن أنّ ميلاده كان في مدينة الرّسول صلّى الله عليه وسلم، وكان يعتبر من العلماء بالقرآن، لذا رأينا نشأته الأولى تؤثّر في سلوكه واتّجاهه، بالإضافة إلى ضرورات الدّولة العربيّة، رغب في تعريب الإدارة والدّواوين، خاصّة بعد أن قام بتعريب النّقود وإصلاحه النّقدي الشّهير، إذ أنّ تعريب الدّواوين يرتبط ارتباطا وثيقا بتعريب النّقود كضرورة من الضّرورات الواجب اتّخاذها لإرساء قواعد الدّولة على أسس متينة قويّة.[1]

وكانت لغات الدّواوين لا تزال إلى أيّامه تكتب بلغات أهلها، ويتولاّها أشخاص من أهل البلاد المفتوحة، وترتّب على ذلك احتفاظ الدّولة بعدد من الموظّفين من غير العرب والمسلمين، فكانت لغاتهم الأجنبيّة لغات من الدرجة الأولى، لأنها كانت لغات رسميّة، يضطرّ النّاس إلى تعلّمها لأنّها كانت سبيلا لتولّي الوظائف الحكوميّة.

[1] فتحية النبراوي،ص 83.

ولو لم تقم حركة التّعريب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان لاستمرّت تلك اللّغات منافسة للّغة العربيّة، ولاستمر هؤلاء الأشخاص عقبة في سبيل وصول العرب إلى مناصب الدّولة، وكان هذا يضعف من تكوين الدّولة القومي.

ويعتبر الخليفة عبد الملك بن مروان مؤسّس النّهضة العربيّة الأولى، بسبب حركة التّعريب في مرافق الدّولة، صحيح أنّ معاوية كان له فضل في إدخال بعض الأنظمة الإداريّة في الدّولة، إلا أنّ عبد الملك بن مروان هو الّذي صقلها وأضاف عليها وبلورها ومن ثمّ عرّبها، وهي أهمّ خطوة خطاها خليفة حتّى تلك الفترة.

كانت لغة الدّواوين حتّى زمن عبد الملك بن مروان في العراق الفارسيّة، وفي الشام الرّومية، وفي مصر القبطيّة واليونانية[1].

كان سرجون بن منصور يتقلد ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما بشيء فتثاقل عنه وتوانى فيه، فعاد إلى طلبه وحثه فيه، فرأى منه تفريطا وتقصيرا، فقال عبد الملك لسليمان بن أسعد وكان يتقلد له ديوان الرّسائل: أما ترى إدلال سرجون علينا وأحسبه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته. أفما عندك حيلة ؟ قال: لو شئت لحوّلت الحساب إلى العربيّة: قال: فافعل، فحوّله، فردّ إليه عبد الملك جميع دواوين الشّام.

كما حوّل الحجّاج في العراق ديوان الخراج من الفارسيّة إلى العربيّة وذلك أنّه كان يتقلّده زادان فروخ، وكان يكتب معه صالح بن عبد الرحمن وقال صالح مرّة لزادان: أني قد خففت على قلب الحجّاج ولست آمن أن أزيلك عن عملك، فأجاب زادان: إنّي لا تظنّ ذلك لا يمكن أن يجد من يكفيه حسابه غيري.

---

[1] المرجع السابق، ص 73.

فقال صالح:" والله لو شئت أن أحوّل الحساب إلى العربيّة لحوّلته. قال: فحوّل شطرا حتى رأى. ففعل صالح وبذل له زادان مائة ألف درهم كي يظهر العجز عن نقل الدّيوان إلى العربيّة فأبى، ولمّا قتل زادان خلفه صالح وترجم الدّيوان إلى العربيّة.

أمّا في مصر فقد ظلّت الدّواوين تدوّن باليونانيّة إلى أن انتقلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فسار إلى سياسة أبيه في تعريب الدّواوين، فحوّل ديوان خراجها إلى العربيّة وقام بتنفيذ هذه السّياسة واليه على مصر عبد الله بن عبد الله بن مروان سنة 87 هـ[1].

وكان لتعريب الدّواوين أثر مزدوج من النّاحيتين السّياسيّة والأدبيّة فقد أصبحت لغة الدّواوين هي لغة العربيّة مما ساعد على تقلّص نفوذ غير العرب. أمّا من النّاحية الأدبيّة فقد أصبحت اللّغة العربيّة لغة التّدوين، فنقل إليها كثير من الاصطلاحات الفارسيّة والروميّة واليونانيّة، وابتدأت تظهر طبقة الكتّاب منذ ذلك الوقت وكان عبد الحميد الكاتب يقول: " الله درّ صالح بن عبد الرحمن ما أعظم منّته على الكتّاب" وكان حري به أن يقول لله درّ عبد الملك[2].

أ- أسباب تعريب الدواوين في الدولة العربية:

إنّ حركة تعريب الدّواوين في الدّولة العربيّة كانت لها أسباب حقيقيّة ومباشرة تختلف اختلافا جوهريّا عن الأسباب الّتي ذكرتها بعض المصادر العربيّة كالجهشياري في "الوزراء والكتّاب" و البلاذري في " فتوح البلدان"

---

[1] بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الدّويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط 2، 2001 ، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 36 .

الّذين يؤكّدان أنّ الموظّفين في الدّواوين تثاقلوا عن طلب الخليفة يأمر بتحويل الحساب إلى العربية.

والواقع أنّ هناك أسبابا رئيسيّة وهامّة أدّت إلى التعريب تتلخّص في عدّة أسباب:

1- إتمام صيغ الدّولة بالصّبغة العربيّة بعد أن تحققت حركة الإصلاح النّقدي، لأنّ حركة التّعريب كانت مظهرا من مظاهر وجود الدّولة وسيادتها. كما أنّ تولّي أشخاص غير عرب زمان الإدارة في الدّولة العربيّة كان مخالفا لأسس و كيان الدّولة القومي.

2- كان الاختلاف في لغات الدّواوين يفتّت نظام الدّولة الاقتصادي ويعيق إدارتها الماليّة. لذا كانت حركة تعريب الدّواوين دعما للمركزيّة العربيّة في النّواحي الإداريّة والاقتصاديّة وتصحيحا للنّظام القديم[1].

3- تحرير النّظم الإداريّة الماليّة من ربقة الخضوع للسّيطرة العنصريّة أو الشّعوب المحليّة، ممّا يؤكّد سيادة الدّولة سياسيّا على البلاد المغلوبة.

4- تقييم اللّغة العربيّة، ورفع مركزها واتخاذها لسانا حضاريا للأمّة الإسلاميّة والعربيّة وللشّعوب الّتي خضعت لها[2].

ب - نتائج حركة التّعريب:

تتلخّص نتائج حركة التّعريب على الشّكل التّالي:

1- أصبحت اللّغة العربيّة اللّغة الرسميّة في الدّولة، وقد ساعد ذلك على تقلّص نفوذ أهل الذمّة بعد أن انتقلت مناصبهم إلى أيدي المسلمين من

[1] حسان حلاق ،تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي ص 201 .
[2] المرجع **نفسه**، ص 202.

العرب، نتيجة التّعديل في الدّواوين المحليّة سواء أكان من ناحية اللّغة،أم من ناحية الموظّفين الّذين يعملون في هذه الدّواوين. ثمّ أخذت طبقة الكتّاب تظهر منذ ذلك الحين، من العرب والمسلمين وترتّب على ذلك انقراض اللّغات الفارسيّة والروميّة والقبطيّة.

2- انتشرت اللّغة العربيّة انتشارا واسعا في العالم الإسلامي، وأصبحت لغة الفكر والحضارة في أجزاء كثيرة من الإمبراطوريّة العربيّة، وأقبل الموالي وغيرهم على تعلّمها وإتقانها.

3- كانت حركة التّعريب أوّل عمليّة ترجمة منظّمة، أدّت إلى نقل الكثير من الاصطلاحات الروميّة والقبطيّة، كما نشطت أيضا التّرجمة من اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة إلى اللّغة العربيّة[1].

يتبيّن من ذلك أنّ اللّغة العربيّة أصبحت لغة مزدهرة في العصر الأمويّ، وكان مقياس التعلّم عندهم أن يكتب الرّجل العربيّة ويقرأها ويتقن السّباحة والرماية، وفي هذا العهد والعهود التي تلته، أصبحت اللّغة العربيّة أداة التّفاهم اليومي من فارس حتّى البرانس وحلّت كأداة للثّقافة محل للّغات القديمة المستعملة من قبل في تلك الأقطار مثل: القبطيّة والآراميّة واليونانيّة واللاتينيّة والفارسيّة والسريانيّة[2] .

ويمكن القول أنّ للّغة العربيّة فضلا في حركة التّعريب في الدّولة العربيّة، بما استطاعت أن تشمله من دين وقوانين واقتصاد وإدارة وصناعة وفلاحة

---

[1] المرجع السابق، ص 103.
[2] المرجع نفسه، ص 103 .

وعلم وأدب وثقافة وغيرها من شتّى ضروب النّشاط البشري في تكامله الفكري والمادي.

وهكذا نرى أنّ اللّغة العربيّة بما أوتيت من قوّة مستمدّة من أنّها لغة القرآن ومن أنّها لغة حضارة زاخرة، انبثقت في مراكز الحضارة الإسلاميّة كبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة، قد خدمت ظاهرة التعريب الدفاقة في الوطن الإسلامي.

وبعد ، فقد أوجدت الدّولة الأمويّة نظاما عربيّا شاملا بعد تجارب عديدة وإضافات مستمدّة من أسس الدّولة القائمة على خدمة العروبة والإسلام ، وللدّلالة على حسن هذا النّظام، أن اتّخذه العبّاسيون ، فقد كانت الإدارة عندهم تطوّرا للإدارة عند الأمويّين، وقد اعترف الخليفة أبو جعفر المنصور بأنّه مدين إلى حدّ كبير في تنظيم دولته للأمويّين[1].

[1] المرجع السابق، ص 103 .

# الفصل الثّاني

## ملخص التّاريخ

**تطور الدّواوين عبر العصور الإسلاميّة**

(عصر الخلفاء الراشدين، العصر الأمويّ، العصر العبّاسي)

## المبحث الأول: نشأة الدّواوين في زمن الخلفاء الرّاشدين:

لقد وجد الدّيوان منذ عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم دون أن يتسمّى بهذه التّسمية، وللدّلالة على صحّة هذا القول أنّه كان للرّسول صلى الله عليه وسلّم وقرّاء من الصّحابة بلغ عددهم أكثر من اثنين وأربعين شخصا، فقد كان عثمان بن عفان يكتب له أحيانا، وأحيانا علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد وأبّان بن سعيد، والعطاء بن الحضرمي وكان أوّل من كتب له أبي بن كعب وإذا غاب كتب له زيد بن ثابت، وقد كتب له أيضا عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكتب له أيضا معاوية بن أبي سفيان وحنظلة الأسيدي.

ويكفي هذا العدد من الأشخاص لأن يؤلّفوا ديوانا للكتابة والإدارة وكان جميع هؤلاء يكتبون-بطبيعة الحال- باللّغة العربيّة وليس بلغة ثانية، بل إنّ ثقافة أحدهم بلغت حد إجادته لعدّة لغات أجنبيّة من النّادر أن تجتمع في شخص واحد في تلك الفترة، فقد كان زيد بن ثابت ترجمان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالفارسيّة والروميّة والقبطيّة والحبشيّة واليهوديّة يترجمها إلى اللّغة العربيّة.

ومن الدّلائل على وجود المفاهيم الدّيوانية عند المسلمين، أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم أراد مرّة إحصاء المسلمين فقال: اكتبوا لي من تلفّظ بالإسلام من النّاس ، فكتبوا له ألفا وخمسمائة رجل ولم يكن قبل ذلك يجمع المسلمين كتاب حافظ أي ديوان مكتوب بالرّغم من أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم أحصى المسلمين وسجّل أعدادهم[1].

---

[1] المرجع السابق، ص 167 .

لقد كان إحصاء المسلمين الأوّل خطوة أولى نحو التّدوين إذ بمثل هذه الطّرق تمّ إحصاء أعداد من اعتنق الإسلام ، والظّاهر أنّ الرّسول اتّخذ هذه الخطوة ليقف على أعداد من اعتنق الإسلام، وذلك لدفع أموال الزّكاة ولصرفها على المحتاجين من المسلمين، والأخذ ممّن يتوجّب عليهم الدّفع، وللتأكد أيضا من أعداد المسلمين الذين يمكن لهم الاشتراك في العمليّات القتاليّة.

وقد اقتدى الخليفة " أبو بكر الصدّيق" بما ساد في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم من أنظمة أوليّة، إذ أن من كتب للرّسول صلى الله عليه وسلم كان يكتب أيضا للخليفة أبي بكر الصديق ومنهم زيد بن ثابت وعثمان بن عفان ، على انه مما لاشك فيه أن نواة" بيت المال" وجدت في أيام الخليفة أبي بكر الصديق[1].

وكان الدّيوان الدّفتر أو مجتمع الصّحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطيّة، وأوّل ديوان أنشئ في الإسلام هو ديوان الجند ويطلق عليه ديوان العطاء، وغايته الحفاظ على الأموال الفائضة الواردة إلى بيت مال المسلمين، مثل: الزّكاة والجزية والعشور وغيرها، وتسجيل أسماء الجند لصرف العطايا لهم، وقيل إنّ أوّل ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء.

ولمّا تولى "عثمان بن عفان" الخلافة، أقر الأوضاع الإداريّة السائدة التي وضعها الخليفة " عمر بن الخطاب" من قبل. وسار الخليفة "علي بن

[1] المرجع السابق، ص 168 .

أبي طالب" على النمط الإداري السّابق لأنّه لم ير موجبا لتغييره أو الإضافة عليه، خاصّة وأنّه كان مشغولا بما ساد من مشاكل داخليّة في عهده[1].

أوّل من أنشأ الدّيوان عند العرب "عمر بن الخطاب" أمّا قبل ذلك فلم يحتج المسلمون إلى أيّ من التّدوين الحكومي سوى كتّاب الوحي للرّسول صلّى الله عليه وسلّم والكتّاب الّذين كتبوا له رسائله إلى ملوك الأمم المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام ولمّا كان عهد عمر بن الخطاب اتسعت رقعة الدّولة الإسلاميّة وكثرت وارداتها فاحتاج إلى ضبط أحوالها فأنشأ ديوان العطاء كما ازداد عدد المحاربين وكثرت الجيوش واتسع نطاق الفتوحات فرأى من الضّروري تقدير أعطيات الجند وتسجيل أسمائهم، فأنشأ ديوان الجند.

وذكر المؤرّخون رأيين في سبب وضع عمر الدّيوان وهما:

1- أنّ أبا هريرة، عامله على البحرين، قدم ومعه مال كثير وتعب عمر في قسمة وضبط العطاء فأشار عليه خالد بن الوليد(وقيل بل هو هشام بن الوليد بن المغيرة) بتأسيس الدّيوان وقال:" رأيت ملوك الشام يدونون" فقبل عمر ووضع ديوان العطاء[2].

2- وقيل أنّ الّذي أشار على عمر بوضع الدّيوان هو أحد زعماء الفرس الّذين أسلموا إذ كان حاضرا مجلس الخليفة وقدر رآه يرسل بعثا(جيشا) فقال له:" هذا البعث قد أعطيت أهله الأموال فإن تخلف

[1] المرجع السابق، ص 169.
[2] محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، ص 69 .

منهم رجل بمكانه فما يدري صاحبك( قائدك) به " وأشار عليه بوضع الدّيوان وفسّره له وشرحه فأمر عمر بإنشاء ديوان الجند[1].

كان لابد للخليفة الرّاشد "عمر بن الخطّاب" أن يقوم بتنظيم الدّولة العربيّة بعد أن اتسعت بفتوح الشّام والعراق ومصر وفارس، فانتهز فرصة وجوده بالشّام عندما قدم لتوزيع معاهدة الصّلح مع صفر ونيوس بطريرك إيليا حين اشترط على عمرو بن العاص ذلك، واجتمع في الجابية مع قواده لدراسة الموقف ووضع الأنظمة الجديدة، وأصدر عهدا عرف بعهد عمر، وفيه وضع مبدأ الرّواتب والأعطيّات للجند وهو ما عرف بديوان العطاء، فأمر عمر كلا من عقيل بن أبي طالب ومغرمة بن نوفل وجبير بن مطعم كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الإسلاميّة على ترتيب الأنساب مبتدئين بقرابة رسول الله وما بعدها الأقرب فالأقرب، كما روعي في تنظيم العطاء مدى الاشتراك في الغزوات والفتوحات[2].

ويذكر الطبري أنّ عمر لمّا عزم على تدوين الدّيوان بدأ ببني هاشم في الدّعوة ثمّ الأقرب فالأقرب لرسول الله" فكان القوم إذا استووا في القرابة قدم أهل السّابقة، ثمّ انتهوا إلى الأنصار، فقالوا بمن نبدأ فقال: ابدأوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي من الأوس ثمّ الأقرب لسعد". ثم أنشأ عمر بيتا للمال قصد به حفظ الفائض من الأموال عن حاجة الجند.

---

[1] المرجع السابق، ص 70 .

[2] عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د، ط، 2004، ص 65-66 .

واتبع مبدأين قامت عليهما السياسة العربية:

- ❖ الأوّل: أنّ الجنديّة قاصرة على العرب وحدهم دون أهل الذمّة، وفي سبيل ذلك منع المحاربين العرب من امتلاك الأراضي في الشّام ومصر وغيرهما خشية أن يفقدوا حماسهم الحربي في غمرة الاستقرار وأقامهم في معسكرات أدمجهم فيها بعضهم في بعض حتى يقضى بذلك على النّزاعات العصبيّة، ويزيل الرّوح الجاهليّة.
- ❖ المبدأ الثاني: فهو ترك المغلوبين على مثل ما كانوا عليه من النّاحية الإداريّة والماليّة.

أمّا من حيث النّظم الماليّة فقد أقرّ عمر النّظم المالي الساساني في العراق وفارس بينما طبّق النّظام البيزنطي في سورية ومصر، وكان ذلك سببا في الاختلاف الواضح في أحكام الجزية والخراج في العراق وفارس عن نظائرها في سورية ومصر، وقد حمل على إيجاد هذا الاختلاف لغات الدّيوان في الأراضي المفتوحة، فقد كان من العسير على عمر أن يعرب لغات الدّيوان ويستخرج منها نظاما واحدا يفرضه على الدّولة العربيّة كلّها[1].

وقد تعدّدت الدّواوين في عصر الخلفاء الرّاشدين نذكر من أهمّها:

1. **<u>ديوان الجند:</u>**

يعدّ من أكبر دواوين الدّولة وقد بقي هذا الدّيوان في مستهل الدّولة الأمويّة على ما أنشأه الخليفة عمر(رضي الله عنه)، وتحدّد فيه مقدار أعطيات جميع العرب والجنود المقاتلة من العرب وغيرهم، وكان الانتظام

[1] المرجع السابق، ص67 .

فيه يعني التفرّغ التام للجندية والجهاد دفاعا عن الإسلام حتّى لا ينشغل الجند بأعمال أخرى كالزّراعة التي تستدعي الارتباط بالأرض وترك الجهاد، لذا فإن تخلف المقاتلة عن الحرب يعني إسقاط أرزاقهم، وكان تسجيل المقاتلة في الدّيوان والولادات المستمرّة من العوامل التي تستدعي إعادة التدوين وفق تلك المستجدّات[1].

وهذا الديوان أسّسه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لتحديد العطاء لجميع المسلمين وخاصّة الجند منهم. غير أنّه قد مرّ بتطوّرات عديدة على أيدي الأمويّين، لما اقتضته الظّروف الجديدة للحياة الإسلاميّة في العصر الأمويّ، نتيجة ازدياد عدد الجند، واحتكاك المسلمين بحضارات أخرى، وتشعّب المسائل الماليّة وما شابه ذلك من نظرة الجند إلى العطاء على أنّه معاش أكثر منه راتبا لقاء خدمة حربيّة أمر بها الإسلام[2] .

وعندما خفّت حركة الجيوش والفتوحات أبطل الخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك الأعطيّات لمن لا يقوم بالعمل العسكريّ بنفسه أو من يبعث مكانه نائبا عنه، وألغى أسماء الذين يستنكفون من الجنديّة، وبذلك حدّد الأشخاص الذين يأخذون أعطيات مقدّرة ومقرّرة من ديوان الجند، ولم تعد أموال هذا الدّيوان حقا لجميع العرب. وفي العصر العبّاسي استمرّ العمل بهذا الدّيوان وذلك للحاجة إليه، وكما ذكرنا فقد أعجب الخليفة أبو جعفر المنصور بإصلاحات هشام الإداريّة وأمر بالاقتداء بها. كما طوّر الفاطميّون ديوان الجند تطويرا كبيرا فصار يتألّف من ثلاثة دواوين يكمل بعضها الآخر، يعرف الأوّل: بديوان الجند ويختصّ بالتّعرّف على أحوال الجند

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.د.ت، ص 132 .

[2] حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، ص 175 .

وأخبارهم وأعدادهم، والثاني: ديوان الرّواتب وكان مخصّصا لتسجيل رواتب الجند وموظّفي الخلافة، والثالث: يعرّف بديوان الإقطاع ويختصّ باقطاعات الجند[1].

## 2. ديوان الخراج:

كان الخلفاء يعيّنون في العادة عمّالا مستقلّين عن الولاة، مهمّتهم القيام بجمع الخراج فيدفعون منه أرزاق الجند، وما تحتاج إليه المرافق العامّة من ضروب الإصلاح، ويرسلون الفائض إلى بيت المال ليصرف فيما خصّص له.

ويحدّد أبو يوسف الصّفات الّتي يجب أن تتوفر فيمن يتولى جباية الخراج، فيقول:" أن يكون والي ذلك فقيها عالما، مشاورا لأهل الرّأي، عفيفا، لا يطّلع النّاس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم ما حفظ من حق، وأدّى من أمانة، احتسب به الجنّة، وما عمل به من غير ذلك، فخاف عقوبة الله فيما بعد الموت، تجوز شهادته إن شهد، ولا يخاف منه جور إن حكم، وان يبعث الإمام قوم من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته، يسألون عن سيرة العمّال ، وما عملوا به في الخراج، وكيف جبوه".

وكان عهد الخلفاء الرّاشدين عهد عدل وتسامح، لم تشتد فيه الولاة في جمع الضّرائب ومع ذلك فإنّ بعض الجباة كانوا يسيئون استعمال سلطتهم ويرهقون النّاس، لذلك كان حسن اختيارهم أمرا ضروريا، وفرض الرّقابة على أعمالهم أمرا محتوما[2].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 78.
[2] المرجع نفسه، ص 78.

وكان الخلفاء أنفسهم يشرفون على جباية الخراج، ويحاسبون الولاة وعمّال الخراج حسابا عسيرا. فقد سنّ عمر بن الخطاب لذلك نظاما يقضي بعمل إحصاء دقيق لثروة الولاة قبل توليتهم، ثمّ إلزامهم عند انتهاء أعمالهم بدفع نصف الثروة التي جمعوها لأنفسهم أثناء ولايتهم، إذا تبيّن أنّ رواتبهم لا تسمح بادّخار مثل تلك الأموال.

ويعتبر ديوان الخراج أهمّ هذه الدّواوين جميعا لأنّه يشرف على الشّؤون الماليّة للدّولة ويتولّى تسجيل ما يرد عليها وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، وقد اقتبسه عمر بن الخطاب من الإدارة الفارسيّة متّبعا في ذلك مشورة الفيرزان . وكان ديوانا البصرة والكوفة: ديوان الجند والأعطية بالعربيّة وديوان المال بالفارسيّة، كما كانا ديوانا الشّام بالعربيّة والروميّة وديوانا مصر بالعربيّة والقبطيّة أو اليونانيّة ، ويرجع السّبب في إبقاء الدّيوان على مثل ما كان عليه قبل الفتح العربيّ إلى قلّة خبرة العرب بأمور الإدارة، وتفضيلهم ترك النّظم الإداريّة والماليّة في البلاد المفتوحة على ما كانت عليه دون تغيير أو تعديل فأقروها كما هي. وظلّ ديوان الخراج والجبايات في عصر الدّولة الأمويّة على حاله حتّى أيّام عبد الملك بن مروان عندما استحال الأمر ملكا، واستقرّت دعائم الدّولة العربيّة، ورسخت قواعدها وانتقل القوم من عضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأميّة إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان[1].

فأمر عبد الملك سنة 78 هـ سليمان بن سعد والي الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشّام إلى العربيّة، فأكمله لسنة من يوم شروعه فيه وكان يتولاه

[1] فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص 112 .

قبل ذلك سرجون بن عبد الرّحمن البصري مولى بني مرة بن عبيد، وكان يكتب بالعربيّة والفارسيّة التي تلقنها عن زادان فروخ كاتب الحجّاج قبله، وأن يتولاه بعد أن قتل زادان فروخ في حرب ابن الأشعث وأمره أن ينقل الدّيوان من الفارسيّة إلى العربيّة فعرّبه ، أمّا ديوان مصر فقد أمر عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر من قبل أبيه عبد الملك، بنسخه بالعربيّة، وصرف عبد الملك بن أثيناس عن الدّيوان وجعل عليه ابن يربوع الفراري من أهل حمص. وكان أوّل من نقل الكتابة من الفارسيّة إلى العربيّة بخراسان اسحق بن طليق الكاتب من بني نهشل في سنة 124 هـ في خلافة هشام، ونتج عن حركة التّعريب انتشار اللّغة العربيّة والخطّ العربيّ ونشاط التّرجمة من اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة وأصبحت اللّغة العربيّة على حدّ قول ابن خلدون لسانا حضاريّا في جميع أمصار الإسلام[1].

ففي عهد الملك بن مروان كان يعمل تحيق دقيق مع الجباة وموظّفي الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الإداريّة، فكانوا تحقيقا يعذبون أحيانا حتّى يقرّوا بأسماء من أودعوهم ودائعهم وأموالهم ، ويردّوا إلى بيت المال ما أخذوه من أموال. أمّا طرق جباية الخراج فتتمّ بطرق ثلاث:

1)-نظام المحاسبة 2)- نظام المقاسمة 3)- نظام الالتزام

1- نظام المحاسبة:

ويقضي بأن تجبى الضّريبة بالنّسبة لمساحة الأرض أو مقدار غلّتها وكانت عند الضّريبة تدفع نقدا أو نوعا أو كلاهما معا. وهي عبارة عن

[1] المرجع السابق، ص 113 .

شائعا في الدّولة البيزنطيّة ، وهو نظام قديم يرجع إلى أيّام اليونان، ولم يلبث العرب أن ادخلوا نظام الالتزام في الحسبة والقضاء والشّرطة[1].

وقد شاع هذا النّظام بصورة خاصّة في العصر العباسيّ، حين تولّى الأتراك حكم الدّولة العباسيّة، ولم يكن الالتزام إذ ذاك مقتصرا على إقطاع أجزاء من الأرض في الولاية الواحدة، بل قد يشمل ولاية برمّتها، إذ كان هؤلاء يقطع الولايات على أن يؤدوا لدار الولاية أو الخلافة مبلغا من المال، عدا الهدايا والطّرف.

على أنّ نظام الإقطاع هذا لم يخل من العيوب إذ أن المقتطع أو الملتزم يعمل على الإثراء وجمع الأموال الطّائلة، و لا يتردّد في إرهاق الأهالي وإثقالهم بأنواع الضّرائب المختلفة حتّى يستطيع أن يدفع ما عليه للدولة من الخراج ، ويحفظ ما زاد لنفسه، والأهالي في ذلك مغلوبون على أمرهم، وقلما تصل شكاياتهم إلى السّلطة المركزيّة.

وقد كره أبو يوسف نظام الالتزام، فكتب إلى الرّشيد ينصحه بالعدول عنه ويقول:" ورأيت ألا تقبل شيئا من السّواد ولا غير السّواد من البلاد ، فإنّ المتقبل(الملتزم) إذا كان في قبالته فضل عن الخراج، عسف أهل الخراج، وحمل عليهم مالا يجب عليهم، وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ، ليسلم ممّا يدخل فيه، وفي ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعيّة، والمتقبل لا يبالي بهلاكهم، بصلاح أمره في قبالته، ولعلّه يستفضل بعدما يتقبّل به فضلا كثيرا، وليس يمكنه ذلك إلا بشدّة منه على الرعيّة، وضرب لهم شديد، وإقامته لهم في الشّمس، وتعليق الحجارة في الأعناق، وعذاب عظيم، ينال

[1] المرجع السابق، ص 114 .

أهل الخراج ممّا ليس يجب عليهم من الفساد، الذي نهى الله عنه، وإنّما أمر الله عز وجل أن يؤخذ منهم العفو، وليس يحل ان يكلفوا فوق طاقتهم."[1]

3. **ديوان الجيش:**

ارتبطت نشأة ديوان الجيش بتدوين الدّواوين أو تسجيل أسماء الجنود، وذلك لمواجهة الزّيادة الّتي طرأت على عدد الجنود، وضرورة إحصائهم وترتيب أمورهم وتوفير أعطياتهم، ومن أجل ذلك كان لابدّ من تخصيص ديوان للجيش، وديوان الجيش نشأ عربيّا وتطوّر مع النّظم الإسلاميّة.

وضع الفاروق(رضي الله عنه) أسسا للانتظام في ديوان الجيش يتقدّم وفقها أفراد الدّيوان في المرتبة والعطاء إلاّ أنّ أفراد هذا الدّيوان يتعيّن أن تتوافر فيهم شروط تحدّث عنها الفقهاء.

يقول الإمام الماوردي: إن هذا الدّيوان يختصّ بالجيش من إثبات وعطاء، إمّا إثباتهم في الدّيوان فتعتبر فيه ثلاثة شروط. أوّلها: الوصف، ثانيهما: السّبب من أجله يستحقّ به ترتيبهم، ثالثها: الحال الّتي يقدّر بها عطاؤها.

أمّا الشّرط الأوّل: وهو جواز إثباتهم في الدّيوان فيجب أن تراعي فيمن يثبت في الدّيوان خمسة أوصاف:

1. البلوغ.
2. الحريّة.
3. الإسلام.

---

[1] المرجع السابق، ص115.

4. السّلامة من الآفات.

5. الإقدام على الحروب ومعرفة القتال.[1]

فإذا تكاملت هذه الأوصاف كان إثباته في ديوان الجيش موقوفا على الطّلب والإيجاب، فيكون منه الطلب ، ولولي الأمر الإجابة إذا دعت الحاجة.

الشّرط الثاني: يقوم هذا الشّرط على أساسين الأوّل: النّسب، وهذا يعني ترتيب الأسماء حسب قبائلها ومدى قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني: يقوم على ترتيبهم الواحد بعد الواحد وفقا لسبقهم في الإسلام، فإن تكافأوا فبالدين، فإن تكافأوا فالبسن، فإن تقاربوا فتعتبر الشجاعة، فإن تقاربوا فلولي الأمر أن يختار أو يقترع بينهم، وله أيضا أن يجتهد رأيه[2] .

الشّرط الثالث: وهو تقدير العطاء بالكفاية، والكفاية كما يقول الماوردي معتبرة على ثلاثة أسس:

1- عدد من يعول من الذرارى والمماليك .

2- عدد ما يرتبطه من الخيل والظهر.

3- الموضع الذي يحله من الغلاء والرخص.

ويجوز لبعض أعضاء الدّيوان أن يستعفى نفسه من الجيش، أمّا إذا دعت الحاجة إليه فلا يؤذن له بذلك. وإذا تخلّف بعض أعضاء الدّيوان عن الحرب وهم أكفاء سقطت أرزاقهم.

---

[1] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

وكان الانتظام في ديوان الجيش يعني بالضّرورة الالتزام بشروطه، وهي التفرّغ التام للجندية والجهاد دفاعا عن الإسلام وقد تشدد الفاروق على ضرورة الالتزام بالجندية والتفرّغ لها حتى لا ينشغل الجنود بأعمال أخرى كالزّراعة مثلا مما يستدعي استقرارهم وارتباطهم بالأرض وإهمال أمر الجهاد[1].

وقد كفلت الدّولة الإسلاميّة تدريب وإمداد الجنود بكلّ ما يلزمهم، فإذا أنفقت دواب الجند في الحرب كان على الدّولة أن تعوضهم عنها، وإذا استهلك الجندي سلاحه عوض عنه، وإذا كلّف بسفر أعطى نفقة لسفره، ومن الجدير بالإشارة أنّ الجندي إذا مات أو قتل ورث أبناؤه عطاءه، وهو دين لورثته في بيت مال المسلمين[2].

## المبحث الثاني: تطور الدواوين في العصر الأموي:

انتقل الثقل السياسي في عهد الأمويين من المدينة المنوّرة إلى دمشق، وتحول الاهتمام إلى بلاد الشام التي غدت مقصدا لطلاب العلم وأهل المعرفة.

واهتم خلفاء بني أميّة بالنّظم الإداريّة اهتماما عظيما وخاصّة أنّهم كانوا يعيشون في بلاد الشام بما لها من تقاليد وتنظيمات إداريّة عريقة، واستخدم الأمويين رجالا من العرب برعوا في الإدارة، واثبتوا كفاءة مالية، من بينهم زيادة ابن أبيه، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، كما استعانوا بأهل الذمّة في مصالح الدولة فقد استخدم معاوية سرجون بن منصور ومن بعده ابنه في إدارة الأموال.

---

[1] المرجع السابق، ص 122 .

[2] المرجع نفسه، ص 122 .

وزاد عدد الدّواوين في الدّولة الأمويّة عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين، ذلك أن ضروريات إدارية تطلبت زيادة عدد الدواوين فإلى جانب ديوان العطاء وديوان الخراج وديوان الجند استحدث معاوية بن أبي سفيان ديوان الخاتم وديوان البريد وديوان الصدقات وديوان الطراز[1].

ونذكر المصادر السبب في نشأة ديوان الخاتم إلى أن معاوية بن أبي سفيان أمر لعمرو بن زيد مائة ألف درهم وكتب له بذلك إلى زياد وهو على العراق ففتح عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه، فأحدث عنه ذلك معاوية ديوان الخاتم، وحزم الكتب ولم تكن تحزم، وكان على ديوان الخاتم في عهد معاوية عبد الله بن محصن الحميري[2].

ويمكن إرجاع نشأة ذلك الدّيوان، بالإضافة إلى حزم سرية الكتب الواردة إلى الخليفة والصّادرة عنه.

أما ديوان البريد فكان معاوية أوّل من اتخذه في الدّولة الإسلاميّة وفي هذا يقول ابن الأثير: أنه أوّل من وضع البريد، يذكر أنّ عامل معاوية أمر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب بها إلى أمير المؤمنين، وهذا يوضح حرص الأمويّين على انضباط الأمور في أرجاء الدّولة الإسلاميّة، كما يؤكد حرصهم على أن تكون علاقتهم بعمال الأقاليم علاقة وثيقة. والبريد كلمة فارسية، وكان بالديوان خرائط توضح عليها المواقع خدمة للمسافرين، و به عدد من الموظفين يشرفون على إدارته[3].

---

[1] د. فتيحة النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص 92.

[2] المرجع نفسه، ص 93.

[3] المرجع نفسه، ص93.

وفي عهد عبد الملك بن مروان شهدت النظم الإداريّة تطوّرا هامّا، ذلك أنّه قام بتعريب الدّواوين، فعربت الدّواوين بالشام والعراق وتلا ذلك تعريب الدّواوين في مصر، ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ المسلمين الفاتحين ابقوا على الدّواوين كما كانت تدار شؤونها بلغة البلاد المفتوحة.

وظلت الدّواوين تعمل كما كانت قبل الفتح في مصر بالقبطيّة وفي الشّام بالروميّة وفي العراق بالفارسيّة، وهذا يعكس حرص الدولة الإسلامية على مصالح الأقاليم حتّى إذا استطاع المسلمون إدارة تلك الدّواوين بأنفسهم كانت حركة التّعريب[1].

رأينا فيما سبق أنّ الخليفة " عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه- أول من أدخل نظام الدّيوان من خلفاء المسلمين ، ولم يلبث أن تعقد منذ عصر معاوية بن أبي سفيان، فظهر عدد من الدّواوين، كلّ منها يختصّ بالنّظر في شأن من شؤون الدّولة نذكر منها:

- **<u>ديوان الرسائل</u>:**

هو مستحدث في زمن معاوية ولم يكن موجودا زمن الخلفاء الراشدين، وكانت مهمة صاحب هذا الدّيوان الإشراف على الرّسائل الواردة من الولايات الإسلامية أو الموجّهة من الخليفة إلى عماله، وإذاعة المراسيم والمنشورات، وتحرير الرّسائل وختمها بخاتم الخلافة[2].

وكان القائم على هذا الدّيوان يختار من أهل الخليفة ومن عظماء قبيله، لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم، وقد تعقد هذا الدّيوان في العصر العبّاسي وتعدّدت اختصاصه، وكثر عدد من يعملون فيه، وذلك حتّى يرقى إلى

---

[1] المرجع السابق، ص 94 .

[2] عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 68.

مستوى السّياسة العبّاسية ومواجهة احتجاجات الدولة ومشكلاتها، واستقرت دعائم هذا الدّيوان منذ أيام المنصور، وجعله المنصور قريبا من قصره في بغداد، وأسنده إلى أبان بن صدقة. وقد تعرض هذا الدّيوان إلى التطور في العهود التالية ففصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة التي أصبح يشرف عليها الوزراء إشرافا مباشرا، وأصبحت لصاحب ديوان الرسائل مكانة بارزة عند الخليفة بحكم التصاقه به، وكان الخليفة يستشيره ويدينه منه[1].

وكان يعمل بديوان الرّسائل موظفون تعدّدت مهامّهم ، فقد وجد كتاب رؤساء يقومون بالإنشاء وكتابة الرّدود والتوقيعات، وآخرون يساعدونهم في التلخيص والتبييض، وأصبح لهذا الدّيوان محفوظات خاصّة يتولى الإشراف عليها الخازن، فكانت أصول المراسلات ونسخها الواردة تنظم في ملفات يقال لها أضابير توضع عليها بطائق تدّل على محتوياتها ليسهل الرجوع إليها عند الضرورة وكان الكاتب يصدر السجلات من الدّيوان ويكتب في آخرها اسمه، ويختم عليها بخاتم الخليفة وهو طابع منقوش فيه اسم الخليفة او شارته يغمس في حبر احمر مذاب بالماء يسمى طين الختم ويطبع به على طرف السجل عند طيه وإلصاقه، وعرف التوقيع الخلافي عند العباسيين وعند الفاطميين باسم " العلامة".

يقول القلقشندي:" إنّ ديوان الرّسائل ويسمّى أيضا ديوان الإنشاء هو أوّل ديوان أنشأ في الإسلام وذلك أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم استعمل كتابا يكتبون عنه إلى أمرائه وأصحاب سراياه، والى من قرب من ملوك الأرض

[1] المرجع السابق، ص 69 .

يدعوهم إلى الإسلام كما كتبوا له العهود والاقطاعات والهدن والأمانات إلى غير ذلك.

فهؤلاء الكتّاب وان لم يطلق عليهم اسم الدّيوان كانوا يقومون بشيء من متعلقات ديوان الرّسائل. فلمّا جاء العهد الأموي كان كل خليفة يفوض أمر ديوان الرّسائل إلى كاتب يختاره[1].

وقد ألف القلقشندي لمن يرشحون أنفسهم لمنصب ديوان الرّسائل كتابا قيما ذكر فيه تاريخ هذا الدّيوان وتفاصيل العلوم والمعارف التي ينبغي لصاحبه أن يعلّمها فقال:"ليس في منزلة خدم السّلطان والمنصرفين في مهمّاتها أخص من كاتب الرّسائل فانه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه و لا غنى له عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهمّاته وإطّلاعه على حوادث ديوانه فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به".

ومن آداب صاحب الرّسائل أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللّسان أصيلا في قومه، وقورا حليما مؤثرا للجدّ على الهزل ملازما للدّيوان ليكون قدوة لسائر الموظّفين[2].

أمّا اختصاص صاحب ديوان الرّسائل فهي:

1- التوقيع على الرّسائل الموجّهة إلى جميع الولايات والموظّفين في كلّ ما يتعلّق بشؤون الدّولة.

2- النّظر في الكتب الواردة.

3- ردّ الأجوبة في يومها وعدم تأخيرها.

---

[1] بشيررمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص 62 .
[2] المرجع نفسه، ص 63 .

4- النّظر في الألقاب التي تكتب على الرّسائل حتى لا يزاد فيها ولا ينقص.

5- الإطّلاع على ما يكتب في ديوانه ويوقع عليها إشارة إلى موافقته على مضمونها.

6- النّظر في أمر البريد ومتعلّقاته.

7- النّظر في أبراج الحمام المستعمل في المخابرات.

8- النّظر في أمر السّعاة الّذين يسيرون بالرّسائل عند تعذر إيصالها بطرق البريد.

9- النّظر في أمر المناور والمحروقات وهي أمكنة في رؤوس الجبال توقد فيها النّار وتستعمل المخابرات.

10- النّظر في أمر العيون والجواسيس.

11- النّظر في الأمور العامّة أي كل ما يجلب الخير للدّولة ويدفع الأذى عنها[1].

وفي الدّولة الأمويّة ازدادت أهمية الكتابة باتساع مهامّ الدّولة وكثرة أعباء الخليفة وتعدد مراسلاته، وظهرت وظيفة الكتابة بشكل أوضح، وكان ديوان الخليفة يتولى التوقيع على القصص ويصدر الأحكام والكاتب ينفذ ما يصدر إليه من الخليفة، وكان ديوان الإنشاء يفوض إلى كاتب يشرف عليه ويقوم بإدارته، واشتهر كتاب في الدّولة الأمويّة من أهمّهم عبد الحميد الكاتب[2].

---

[1] المرجع السابق،ص64 .

[2] د. فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الاسلامية، ص 101 .

كان الخلفاء المسلمون يعنون عناية بالغة بانتقاء أصحاب ديوان الإنشاء، انطلاقا من خطورة ذلك المنصب وارتباطه بالمصالح الحيويّة للخلافة والدولة ، و الرعية فإلى صاحب الدّيوان يلقى الملوك والحكام بأسرار الدولة وأسرارهم ويضعون تقتهم فيه، فكان عين السلطان التي ترى مملكته، وقلبه الذي يحس بنبض رعيته.

وأهميّة ديوان الإنشاء تؤكد ضرورة وجود عدد من الموظّفين الأكفاء لإدارة أحواله والسّهر على ترتيب شؤونه انطلاقا من المسؤوليّات الكثيرة المنوطة به.

وينقسم العاملون في ديوان الإنشاء إلى:

**أوّلا:** الكتّاب، وعددهم سبعة:

1. كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات، وكان يتولى هذا العمل في بعض الأحيان صاحب الديوان نفسه[1].
2. كاتب ينشئ مكاتبات الملك عن ملكه.
3. كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة من كبائرها وولاتها وقضاتها.
4. كاتب يكتب المناشير والكتب.
5. كاتب يبيض ما يكتبه المنشئ.
6. كاتب يتصفح ما يكتب في الدّيوان.
7. كاتب يكتب التذاكر والدّفاتر لمتعلقات الدّيوان.

**ثانيا:** صاحب الديوان: ومهمته تنظيم الدخول إلى الديوان.

---

[1] المرجع السابق، ص 103 .

**ثالثا**: خازن الدّيوان: وعليه تقع مسؤولية بالغة الخطورة وهي الحفاظ على أسرار الدّيوان[1].

ويروي القلقشندي أنّ صناعة الإنشاء أو الكتابة في عصره صار لها اسمها الأوّل: عام يتلفظ به العامة وهو التوقيع، والثاني خاص يستعمله أهل الديوان وهو كتابة الإنشاء.

ويقول المقريزي: اعلم أن كتابة الدّيوان على ثلاثة أقسام:

كتابة الجيوش وكتابة الخراج، وكتابة الإنشاء والمكاتبات، و لابدّ لكل دولة من استعمال هذه الأقسام الثلاثة[2].

ومهما تعدّدت أنواع الكتابة وأقسامها فهي لا تخرج عن أصلين: الأوّل كتابة الإنشاء والثاني كتابة الأموال[3].

وقد ذكر الحريري مفخرة بين كتابتي الإنشاء والأموال، فقال على لسان أبي زيد السروجي: " اعلموا أن كتابة الإنشاء ارفع وصناعة الحساب انفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب، وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس، والمنشئ جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ونجى العظماء وكبير الندماء وقلم لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة، وهو البشير والنذير والشفيع والسفير، به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدني القاصي وصاحبه بريء من التبعات امن من كيد السعايات مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات.

---

[1] المرجع السابق، ص 104 .
[2] المرجع نفسه، ص 106 .
[3] المرجع نفسه، ص 106 .

تذكر المصادر شروطا كثيرة يجب أن تتوافر فيمن يقوم على مهمة كتابة الإنشاء، فإذا كان من كتاب سر السّلطان فيجب أن يكون مسلما كما يجب ان يكون من حفظة القران الكريم وان يكون عالما بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم.

ويجب أن يكون كاتب الإنشاء عالما بالفقه وأحكامه وباللغة العربية وفنونها من بلاغة وبيان وبديع بالإضافة إلى إتقان النحو والصرف، كما يجب أن يكون الكاتب عارفا للغات أخرى غير العربيّة كالفارسيّة والتركيّة والروميّة والفرنجية والبربريّة وغيرها[1].

وكلّ هذا ممّا يعين الكاتب على تأديّة عمله بإتقان ويساعده على سرعة إجابة متطلّبات الحكم والسياسة، بالإضافة إلى شؤون الدولة الداخلية والخارجية.

وقد تمتع الكتاب بمكانة جليلة في الدّولة الإسلاميّة على كافة عصورها فهم حفظة أسرار الدولة وهم ألصق الناس بالملوك والسلاطين والحكام وهم الصلة بينهم وبين الرعية وتتّضح أهميّة هذا الدّيوان من النّصوص التّاريخية، فصاحب الدّيوان له مرتبة عظيمة في الدّولة، فإليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها[2].

- <u>ديوان الخاتم</u>:

كان من أكبر الدّواوين في الدّولة الأمويّة، أنشأه الخليفة معاوية بن أبي سفيان حتّى لا تخرج التوقيعات بدون ختم فلا يعلم ما تحتويه من أسرار أحد غير الخليفة فلا تتعرض هذه التوقيعات للتزوير والتعديل، ويرجع الطبري،

---

[1] المرجع السابق، ص 107 .
[2] المرجع نفسه،ص108 .

السبب الذي دعا معاوية إلى إطلاق الختم على الكتب الخلافية إلى انه- أي معاوية- أمر لعمر بن الزبير عند زياد بن أبيه بالكوفة بمائة ألف، ففتح الكتاب، وصير المائة مائتين ، ورفع زياد حسابه، فأنكر معاوية، وطلب بها عمر وحسبه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله، فاتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم، وحزم الكتب، ولم تكن تحزم من قبل، واسند ديوان الخاتم إلى عبد الله بن محصن الحميري، وقيل ولاه عبد اله بن أوس الغساني وأصبح الديوان يضم عددا من الكتاب، وقد جعل عن طريق لصق راس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب، وقد جعل مكان الإلصاق علامة يؤمن معها من فتحه والإطلاع على ما فيه، وهي لا تخرج عن ختم المكان الملصوق بخاتم منقوش قد غمس في مذاب من الطين معد لذلك، أحمر اللون[1].

وكان من مهام هذا الدّيوان تسجيل ما يصدر عن الخليفة ثم يختم سواء كانت رسالة أم وثيقة قبل أن يرسل إلى الولايات والأمصار والأقاليم، كانت الرّسائل -قبل إنشاء ديوان الخاتم- تصدر غير مختومة بتوقيعات الخليفة، وحدث أن أعطى معاويا كتابا إلى عمر بن الزبير يأمر فيه زياد بن أبيه عامله في بلاد العراق، بأن يعطي حامله مائة ألف درهم، ففض عمر والكتاب، وجعل المائة مائتين، وتسلم المبلغ من زياد، فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر هذا العدد، فاكتشف معاوية عند ذلك تزوير عمرو وأمر بسجنه غير أن أخاه عبد الله بن الزبير دفع المبلغ الزائد إلى معاوية وضمن بذلك إطلاق سراح أخيه[2].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 69-70

[2] حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، ص 176

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الرّسائل تصدر مختومة، بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب هذا الدّيوان، كما هو الحال اليوم في قلم" الأرشيف" أو السجلات، بحيث لا يعلم احد ما تشتمل عليه، ولا يستطيع فضها أيضا، ولو حاول حاملها ذلك لاكتشف أمره فورا.

وفي عهد عبد الله بن مروان تقدمت إدارة ديوان الخاتم كما نشأت إذ ذاك دار للمحفوظات الحكومية في دمشق، وكان بنو أمية عادة لا يولون ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندهم وأول من رسم هذا الديوان معاوية[1].

ظل هذا الدّيوان قائما حتى عهد الخليفة العباسي الأمين، وتذكر المصادر أنّ الديوان كان موجودا في عهد المأمون ثم حل محله ديوان التوقيع، وبلغت أهميته أن الوزير العباسي إذا تناول خاتم الخليفة ليختم به كتابا قام إجلالا للخليفة، وفي نهاية الحكم العبّاسي ألغي هذا الديوان و تحوّلت أعماله إلى ديوان الرسائل .

ديوان الخاتم هو السّجل الذي يكتب فيه الأوامر والبلاغات التي يصدرها الخليفة للناس، وقد انشأ معاوية هذا الدّيوان وأودعه مكانا أمينا، فكان يحزم بخيط ويختم بالشمع الأحمر وختم صاحب الدّيوان أو رئيسه ، ويشابهه هذه الأيّام وما يعرف بالأرشيف والسّجلات والأضابير.

وقد ذكر المؤرّخون سبب اتخاذ هذا الدّيوان ، فقال الزبير بكار: هو أول من اتخذ ديوان الخاتم وأمر بهدايا النيروز والمهرجان . وقد تولى هذا الديوان عبيد الله بن أوس الغساني وسلم إليه الخاتم وعلى فصه مكتوب" لكل عمل ثواب"، وسبب اتخاذه له انه أمر لرجل بمائة ألف، ففك الكتاب وجعله مائتي ألف، فلما رفع الحساب إلى معاوية أنكر ذلك، واتخذ الخاتم من يومئذ

[1] المرجع السابق، ص 177 .

... وبقي هذا الديوان معمولا به حتى أواسط الدولة العباسية ثم تحولت الأعمال إلى الوزراء والسلاطين والحجاب وغيرهم من أصحاب الصلاحيات فإذا بديوان الخاتم يلغى بعد ذلك[1].

وهو يختصّ بحفظ نسخة من المراسلات التي كانت تدور بين الخليفة وولاته وكبار موظفيه في الدّاخل، أو بينه وبين غيره من الحكام الأجانب، بعد ختمها بخاتم خاص، وهو بذلك أشبه ما يكون بإدارة الأرشيف في النّظم الإدارية الحديثة، وكانت النسخة المرسلة تطوى وتغلق بالشمع، حتى لا يمكن فتحها والإطلاع على محتوياتها إلا عند الضرورة، وقد انشأ هذا الديوان معاوية بن أبي سفيان، لمنع التزوير والتلاعب في مرسلات الدولة[2].

وكان ختم الرّسائل بخاتم خاص معروفا في الدّولة الإسلاميّة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم فعندما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائله إلى الملوك والأمراء المعاصرين له، لدعوتهم إلى الإسلام، قال له بعض أصحابه: الأعاجم - يقصدون " كسرى" و " قيصر" – لا يقبلون رسالة إلا إذا كانت مختومة ، فاتخذ خاتما من فضة لختم رسائله، نقش عليه – محمد رسول الله- واتخذ له حاملا خاصا، سمي " حامل خاتم النبي" وكان اسمه " معيقب بن أبي فاطمة الدوسي". وظل الخلفاء الراشدون ويستخدمونه في ختم رسائلهم حتى سقط من يد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- في بئر " أريس" فاتخذ خاتما آخر صنع على مثاله، لكن معاوية بن

---

[1] طاهر جليل حبوش، أوائل العرب عبر العصور والحقب( العصر الأموي)، ج 3، دار الكتب والوثائق، بغداد، د.ط، 1991، ص 10 .

[2] محمد قباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، دار وحي القلم، ط1، 2006، سورية، الجزائر، ص 122 .

أبي سفيان طور تلك البدايات طبقا لمقتضيات العصر ، واتساع رقعة الدولة وكثرة المراسلات المتبادلة[1].

## المبحث الثالث: نشأة الدّواوين في العصر العباسي:

شهدت النّظم الإداريّة في عهد العباسيين تطورا ملحوظا، وان سارت في بداية الأمر على النّمط الذي كانت عليه في عهد الأمويّين ، وقد سلك العبّاسيون نهج الأمويّين فاستعانوا برجال أكفاء في الإدارة، فاتّخذ أبو العبّاس السفاح من أبي سلمة الخلال وزيرا وجعل بيده مقاليد الأمر، وخلفه خالد بن برمك الوزير الأول في دولة بني العباس فبدا ينظم الدواوين ويجعل لها دفاتر خاصة، وهذه دون شك خطوة إدارية غاية في الأهمية، إذ أصبحت الدواوين تسجل كل أحوالها، وسير العمل بها، وما يدخل إليها وما يخرج منها من مكاتبات أو أحوال أو شهادات[2].

ومن المهم التنويه إلى أن العراق زياد ابن أبيه والحجاج بن يوسف وغيرهما من امهر القواد والإداريين في الدولة الإسلامية مما سهل عملية صقل الإدارة فيه في عهد بني العباس[3].

وتتضح دقة إدارة بني العباس في وصية المنصور لابنه المهدي إذ يقول: انظر هذه المدينة، واياك أن تستبدل بها غيرها، قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات

---

[1] المرجع السابق، ص 123.

[2] فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2009، ص 72.

[3] عبد الجواد خلف، جذور الحضارة الإسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، 2006، ص 85 .

والذرية ومصلحة البعوث، فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا مادام بيت مالك عامرا[1].

والوصية تعكس مدى أهمية الناحية الاقتصادية وتأثيرها على الحكم والدولة والرعية، كما تبين اهتمام الخليفة في أن يكون في خزانته فائض يكفي أرزاق الجند، وهذا يعني أيضا اهتماما كبيرا بالجيش ، وأرزاق الناس، ونفقات الشواتي والصرائف، وغير ذلك من نفقات الدولة.

ويستطرد ابن الأثير فيقول: كان للمنصور سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره، فقال للمهدي: انظر إلى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان و ماهو كائن إلى يوم القيامة، فان أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد، وإلا ففي الثاني والثالث حتى بلغ سبعة، فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد فيها ما تريد[2].

ووصية المنصور للمهدي تقدم خلاصة تجاربه السياسية والإدارية والعسكرية، أودعها لمن يأتي من بعده من خلفاء المسلمين.

والمنصور هو الذي استحدث بيت مال المظالم، وكان إذا عزل عاملا اخذ ماله ووضعه في بيت مال مستقل عن بيت المال العام، وكتب عليه اسم صاحبه، إلا انه أوصى ابنه المهدي أن يعيد هذا المال إلى أصحابه ، وقد فعل المهدي ما أمره به أبوه[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ص 102.

[3] عبد العزيز محمد عادل: الحضارة الإسلامية" عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000، ص 95.

وتتضح الحنكة الإدارية التي تتحرى انضباط الأمور وحماية الرعية في سياسة المنصور، فقد عزل صاحب شرطته المسيب بن زهير، وذلك لاعتدائه على ابن بشر الكاتب وضربه بالسياط، ويبدو مدى استياء الخليفة من هذا التصرف المتعنت الذي كان من نتيجته أن أوقع عليه عقوبة العزل[1].

أمّا الإدارة، فكان على رأسها الخلفاء، وقد انحطت رتبهم واستبد بهم الوزراء، كما انحطت ثقافتهم، لان الوزراء كانوا يكرون خليفة مثقفا، ويحكي صاحب كتاب العلوم أن الوزير أبا احمد العباس بن الحسن كان راكبا ومعه احد الكتاب الأربعة الذين يتولون الدواوين، فشاوره فيمن يرشح للخلافة، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتز، فأجابه الكاتب انه يحب أن لا يولى في هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا، ومن لقي الناس ولقوه، وعرف الأمور وحنكته التجارب.

وكانت هناك دواوين كثيرة، لكل ولاية ديوان يدير شؤونها، حتى وحد المعتضد هذه الدواوين وجعل منها ديوانا واحدا اسماه " ديوان الدار" وله ولـه ثلاثة فروع: ديوان المشرق، ديوان المغرب وديوان السواد أي العراق[2].

وقام العباسيون بتطوير نظام الدواوين الموجودة في العصر الأموي، فاستحدثت دواوين لم تكن موجودة، كديوان الضياع الذي يشرف على ممتلكات الخلفاء، وديوان المصادرة الذي يشرف على الممتلكات المصادرة، وديوان الاحشام للإشراف على شؤون خدم قصر الخليفة، وديوان الأزمة

---

[1] المرجع السابق ، ص 96 .

[2] احمد أمين، موسوعة الحضارة الإسلامية" ظهر الاسلام2 "، ارنوبليس، بيروت، م6، ط1، 2006، ص 428.

الذي يقوم بمراجعة حسابات الدّواوين فيما يتعلق بالواردات والنفقات وغيرها من الدّواوين[1].

ويتلخّص عمل الدّواوين في الدّولة الإسلاميّة بإدارتين مركزية تتولى الإشراف على الرّسائل والبريد وشؤون المال، ومحلية تتولى إدارة الأقاليم والولايات التّابعة لدار الخلافة، وتتضمّن الإشراف على الموارد الماليّة للأقاليم ونظام القضاء والنّظام الدّفاعي.

ولقد تأثّر العباسيّون بالنظم الإداريّة الفارسيّة، كما أنّ الأمور تعقدت وتشبّعت بعد العصر الأمويّ فأنشئت دواوين عديدة عدا الّتي عرفت في زمن الرّاشدين والأمويّين وكان أهمّها:

**ديوان الأزمّة أو الزّمام:**

يقول البلاذري بأنّ هذا الدّيوان أحدث زمن الأمويّين بينما سيد أمير عليّ يقول: أنّه من ابتكار المهدي، وصاحبه يشبه وزير الماليّة الذي يجمع أنواع الواردات كلّها وأنواع النّفقات كلّها ويقيم الموازنة بينها. ولعل ما أحدثه العباسيّون هو أنّهم أوجدوا ديوان الأزمّة أي ديوان الحسابات العامّة لبلاد الخلافة كلّها، وما يشبه ديوان المحاسبة اليوم أو الجهاز المركزيّ للرّقابة المالية[2].

استحدث هذا الدّيوان في خلافة المهدي في سنة 162 هـ وفي ذلك يقول الجهشياري:" وقلد عمر بن بزيع دواوين الأزمة في سنة اثنتين وستين ومائة، وقد قيل أن المهدي أوّل من أحدثها، فلمّا تضعضعت حال عمر بن

[1] ندا طه، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندري، د.ط، 1995، ص 72.
[2] السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط،د.ت، ص 25.

بزيع في سنة 168 هـ قلد المهدي عليا بن يقطين زماما على الأزمة فلما تولى الهادي الخلافة، أقر الربيع بن يونس على ديوان الأزمّة، إلى أن توفي الرّبيع في سنة 169 هـ ، فقلد الهادي إبراهيم بن ذكوان الحراني هذا الدّيوان، وظلّ إبراهيم يتقلد هذا الدّيوان إلى أن نكبه الرّشيد ونصب مكانه أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله وزير المهدي ، ولكنّه استعفى لكبر سنّه، وكانت من اختصاصات صاحب هذا الدّيوان مراجعة حسابات الدّواوين فيما يتعلق بالواردات والنفقات[1].

وفي ذلك يقول الطبري:" وذكر احمد بن موسى بن حمزة عن أبيه قال: أوّل من عمل ديوان الزّمام عمر بن يزيع في خلافة المهدي، وذلك لما جمعت له الدّواوين تفكر فإذا هو بزيع يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان، فاتخذ دواوين الأزمّة، وولى كلّ ديوان رجلا فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل بن صبيع ولم يكن لبني أميّة دواوين أزمة، وكان يتولى زمام خراج العراق النعمان بن عثمان[2].

**ديوان البريد:**

وما دمنا بصدد الحديث عن البريد، فلا بد من معرفة اصل لفظة "بريد" ومشتقاتها، ومن المعروف أنّ هناك تفسيرات مختلفة لكلمة بريد، فبعضهم يجعل البريد لفظا عربيا مشتقا من المصدر "برد" أو " أبرد" بمعنى أرسل البريد أي أرسل الرسل على دواب البريد، وقيل أنها لفظة فارسية- وهو الأصح- مشتقة من كلمة " بريده دم" ومعناه مقصوص الذنب، وذلك أن الفرس كانوا يقصون ذنب بغل البريد تمييزا له عن غيره من

[1] السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول)، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، ج3، د.ط، د.ت، ص 276 .
[2] المرجع نفسه ، ص 277 .

البغال، وقد انتقلت كلمة بريد العربية إلى اللاتينية « Verdus » بمعنى خيل البريد ومن وسائل النقل في البريد الخيل والبغال والإبل التي كانت تقام لها مراكز أو منازل في الطرق الرئيسية الموصلة إلى أقاليم الخلافة، كذلك استخدم الحمام الزاجل في نقل الرسائل وكان يعرف باسم جناح المسلمين، وتوسع المسلمون في استخدامه إبان الحروب الصليبية[1].

ديوان البريد استحدثه معاوية بن أبي سفيان حتى تصل الأخبار إليه بسرعة . وتوسع فيه العباسيون وطوروه بحيث وصل في عصرهم إلى درجة عالية من الكمال، ومن المعروف أن الفضل في تطويره وتحسين نظمه ووسائله يرجع إلى أبي جعفر المنصور، مستهدفا في ذلك الوقوف على أحوال الولايات والكشف عن حركات التمرد والثورة والقضاء عليها في وقتها، وقد زاد ارتباط عمال البريد في عهده بالعاصمة بغداد مباشرة دون أن يخضعوا لنفوذ الولايات،وكان هؤلاء العمال البريديون إلى جانب عملهم الأساسي -وهو نقل الرسائل- يشتغلون بالتجسس على كبار الموظفين ومراقبة الولاة في الأقاليم التابعة للخلافة العباسية – ولهذا السبب حظي صاحب ديوان البريد في عصر المنصور بمكانة عالية تسمو مكانة الوالي نفسه[2]. وفي عصر المهدي زادت أهمية البريد، فأقيمت له سنة 166 هـ محطات بين مكة والمدينة واليمن، واتخذت له البغال والإبل خاصة بعد ثورة الحسنيين في الحجاز، وأصبح لديوان البريد أهمية إبان النزاع بين الأمين والمأمون، فعندما تبين المأمون نوايا الأمين ضده بادر بقطع البريد عنه في سنة 194 هـ، كما ظهرت أهمية البريد في عصر المعتصم عندما تولى

---

[1] المرجع السابق ، ص 274 .

[2] عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص 73 .

عجيف مهمة القضاء على حركات التمرد بالبصرة وأمكنه بفضل البريد من إبلاغ الخليفة بكل أخبار قمعه لها، فقد أمر الخليفة بترتيب الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار " فكان الخبر، يخرج من عند عجيف فيصل إلى المعتصم من يومه". كذلك أدى البريد خدمات جليلة للمعتصم عندما تصدى للقضاء على حركة المحمرة، ولولا سهولة الاتصال بمواضع البابكية عن طريق سكك البرد لما أمكن لقادة المعتصم أن يقضوا على بابك، وكان المعتصم يوجه إلى الافشين كل يوم منذ أن رحل من " يرزند" إلى أن وافى سامرا فرشا وخلعة، وكان المعتصم لشدة اهتمامه بأمر بابك وأخباره، ولفساد الطريق بسبب الثلج وغيره، " جعل من سامرا إلى عقبة حلوان خيلا مضمرة على راس كل فرسخ، وجعل لهم حراسا على رؤوس الجبال بالليل والنهار، وأمرهم أن يتعروا إذا جاءهم الخبر، فإذا سمع الذي يليه النعير تهيأ، فلا يبلغ إليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة ( الرسالة) منه، فكانت الخريطة تصل من عسكر الافشين إلى سامرا في أربعة أيام واقل[1]".

[1] المرجع السابق، ص 74 .

# خاتمة

لقد توصلنا من خلال دراستنا لتطور الدّواوين عبر العصور الإسلامية إلى جملة من الملاحظات والنّتائج نجملها فيما يلي:

1* يعتبر الخليفة " عمر بن الخطاب" واضع أسس الحكم الإسلامي من الناحية العملية وذلك لاتساع رقعة الدولة، فوضع الدواوين لتنظيم الإدارة.

2* إنّ الدّيوان هو كلّ ما يسجّل من أعمال وأقوال ومراسلات وحقوق وواجبات تتعلق بالدولة والرعية، وكلمة ديوان كلمة فارسية، تعني السجل الذي يكتب فيه ما يختص بشؤون الإدارة، ثم أصبحت تدل على المكان الذي يعمل فيه الكتاب ، وهكذا استعمل الديوان في أول الأمر في معنى الأوراق، والسجل الذي يكتب فيه أصحاب العطاء وتقدر أرزاقهم، غير أنهم أطلقوا فيما بعد على مجلس الكتاب.

3* كما يطلق الدّيوان كذلك على المباني الحكوميّة الّتي تضمّ المؤسّسات والأجهزة المسؤولة عن إدارة شؤون الدّولة، وهذا من الدّلالات القديمة لكلمة الدّيوان ويراد بها أيضا العاملون في الدّيوان أو السجلات الّتي تحفظ فيها البيانات الخاصّة بالدّولة.

4* إنّ النّظم الإداريّة في مصر والشام لها أثر كبير في نشأة الدّواوين، فقد عاد الفاتحون إلى العاصمة الإسلامية يحملون معهم أخبار البلاد المفتوحة، ومن أهم تلك الأخبار، أخبار النظم الإدارية وبصفة خاصة الدّواوين.

5* إنّ العرب الفاتحين تركوا كتابة الدّواوين بلغة شعوب البلاد المفتوحة ففي العراق وإيران كانت الدّواوين تكتب بالفارسيّة، وفي بلاد الشام بالروميّة، وفي مصر بالقبطيّة.

6* ظهرت الدّواوين مثل بقيّة المؤسّسات نتيجة حاجة العرب إلى التنظيم الإداري والعسكري والمالي وبدأت الدّواوين بداية بسيطة، إلاّ أنّها سرعان ما تطوّرت وتعدّدت وتفرّعت، حسب مقتضيات الأحوال والتطوّرات التي حلّت بالدّولة الإسلاميّة.

7* التّعريب في بلاد الشام تم في عهد عبد الملك بن مروان.

8* التّعريب في مصر تم في عهد الوليد بن عبد الملك.

9* التّعريب في بلاد فارس تم في عهد هشام بن عبد الملك.

10* يتلخّص عمل الدّواوين في الدّولة الإسلاميّة بإدارتين مركزية تتولى الإشراف على الرّسائل والبريد وشؤون المال، ومحلية تتولى إدارة الأقاليم والولايات التابعة لدار الخلافة، وتتضمن الإشراف على الموارد المالية للأقاليم ونظام القضاء والنظام الدفاعي.

11*أثّر تعريب الدّواوين أثرا كبيرا من الناحيتين السياسية والأدبية فقد ساعد ذلك على تقليص نفوذ أهل الذمّة بعد أن انتقلت مناصبهم ووظائفهم إلى المسلمين من العرب، كما أدّى ذلك إلى ظهور طبقة من الكتاب والمترجمين الذين قامت عليهم شؤون الأعمال الكتابية وأعمال النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية.

12* تعدّدت الدّواوين زمن الخلفاء الراشدين نذكر من أهمها:

- **ديوان الجند**: أسّسه عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، وهو من اكبر دواوين الدّولة، ويسجّل فيه أسماء المحاربين حسب قبائلهم، كما حدّدت رواتبهم.
- **ديوان الخراج**: يسجّل فيه واردات بيت المال من خراج وغنائم وجزية وزكاة، ومقدار أعطيات كل مسلم، وكانت تشمل جميع المسلمين، فسجل بني هاشم حسب أقدمية إسلامهم وقرابتهم من الرّسول صلّى الله عليه وسلم، كما سجّل الأنصار مبتدئا برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب وهكذا.
- **ديوان الجيش**: وضعه الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، وقد اختص بتسجيل أسماء الجنود، وذلك لمواجهة الزيادة التي طرأت على عدد الجنود، وضرورة إحصائهم وترتيب أمورهم وتوفير أعطياتهم.

13* تطورت النظم الإدارية والدّواوين في العصر الأموي، فاتّسعت المرافق والخدمات واستخدمت دواوين جديدة تواكب هذا التطور ومن هذه الدواوين نذكر:

**ديوان الرسائل**: أوجده معاوية بن أبي سفيان، وكان يشرف على الرّسائل المتبادلة بين الخليفة والأمصار والدّولة الأجنبية، وكان الخليفة يختار لهذا الديوان الأشخاص الذين اشتهروا بأمانتهم لها تتضمنه الرسائل من أسرار.

**ديوان الخاتم**: استحدثه معاوية ليمنع التزييف في الرّسائل، وكان يحفظ فيه نسخة من كل رسالة، بينما تختم الرسائل الأصلية وتبعث إلى الجهات المقصودة، وقد استحدثت هذا الدّيوان بعدما قام عمرو بن الزبير بتزييف رسالة، موجّهة إلى والي بغداد من الخليفة يمنح عمرو مائة ألف درهم، فغيرها إلى مائتي ألف، فاعتقل عمرو لهذا التزوير إلى أن عاد المبلغ.

14* قام العبّاسيّون بتطوير الدّواوين الموجودة في العصر الأموي فاستحدثت دواوين لم تكن موجودة نذكر منها:

- **ديوان الأزمة**: الذي يقوم بمراجعة حسابات الدواوين فيما يتعلق بالواردات والنفقات وغيرها من الدواوين.
- **ديوان البريد**: كانت مهمته نقل الرسائل بسرعة لتسهيل الاتصال السريع بين الخليفة والولاة، وكان أصحاب البريد يقدمون التقارير الدورية عن أحوال الولايات، فهم يقومون بدور المخابرات اليوم.

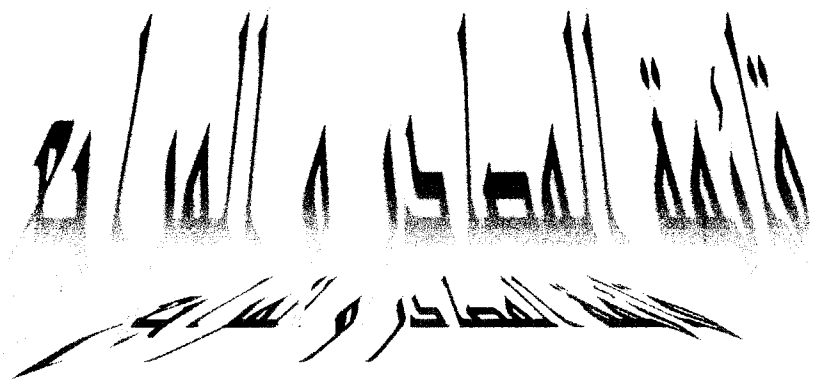
قائمة المصادر والمراجع

1- الأخضر ضيف الله محمد:

- محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

2- التليسي بشير رمضان والذويب جمال هاشم:

- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2001.

3- الجمل عبد المنعم محمد:

- الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

4- الحاج حسين حسن:

- حضارة العرب في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1994.

5- الخربوطلي علي حسني:

- الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1994.

6- الخطيب محمد:

- تاريخ الحضارة العربية، دار علاء الدين، ط 1، 2007.

7- السيد سالم عبد العزيز:

- التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

8- السيد سالم عبد العزيز:

- دراسات في تاريخ العرب " العصر العباسي الأول"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج 3، د.ت.

9- السيد سالم عبد العزيز:

- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/ د.ت.

10- القلا إبراهيم علي السيد:

- نظم الحضارة العربية الإسلامية ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ت.

11- النبراوي فتحية:

- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 9، 1999.

12- النجار فخري خليل:

- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، ط 1، 2009.

13- الهاشمي رحيم كاظم محمد وشنقارو عواطف محمد العربي:

- الحضارة العربية الإسلامية" دراسة في تاريخ النظم"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د.ت.

14- جبر حسن:

- أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1999.

15- حبوش طاهر جليل:

- أوائل العرب عبر العصور والحقب " العصر الأموي"، دار الكتب والوثائق، بغداد، 1991.

16- حسن نبيلة محمد:

- في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.

17- حلاق حسان:

- تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

18- حلاوي محمود مصطفى:

- معالم الحضارة في عصر صدر الإسلام، دار الأرقم، لبنان، د.ت.

19- خريسات محمد عبد القادر وآخرون:

- تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2000.

20- خلف عبد الجواد:

- جذور الحضارة الإسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2006.

21- خليل عماد الدين:

- مدخل إلى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2005.

22- خليل عماد الدين والربيع فايز:

- الوسيط في الحضارة الإسلامية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2004.

23- طه ندا:

- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.

24- عبد العزيز محمد عادل:

- الحضارة الإسلامية " عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار" ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

25- فريحات عبد الحكيم حكمت والخطيب إبراهيم ياسين:

- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الشروق، الأردن، ط 1، 1999.

26- قباني محمد:

- الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، سورية، ط 1، 2006.

27- أحمد أمين:

- موسوعة الحضارة الإسلامية"ظهر الإسلام"، أرنوبليس، بيروت، ط 1، 2006

28- محمد عمارة:

- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993

# الفهرس

الفهرس

- إهداء
- كلمة الشكر
- مقدمة ص (أ) إلى (ج)
- مدخل:"نبذة تاريخية حول النظام الإداري في الدّولة الإسلاميّة" ص 2 إلى 6
- **الفصل الأول: مفهوم الدّيوان:**
- تعريف الدّيوان ص 7 إلى 10
- الدّيوان الأوّل في الإسلام. ص 11 إلى 12
- تعريب الدواوين: ص 13 إلى 18

أ. أسباب تعريبها.

ب. نتائج تعريبها.

- **الفصل الثاني: تطور الدواوين عبر العصور الإسلامية ( عصر الخلفاء الراشدين، العصر الأموي، العصر العباسي):**
- نشأة الدواوين في زمن الخلفاء الراشدين: ص 19 إلى 35

❖ ديوان الجند

❖ ديوان الخراج.

❖ ديوان الجيش.

- تطور الدواوين في العصر الأموي: ص 35 إلى 46

❖ ديوان الرسائل

❖ ديوان الخاتم

- تطور الدواوين في العصر العباسي: ص 47 إلى 53

❖ ديوان الأزمة (الزمام)

❖ ديوان البريد

الخاتمة ص 54 إلى 59

قائمة المصادر و المراجع ص 60 إلى 65

الفهرس ص 66 إلى 67